



## الكتابة التاريخية عند محمد حربي بين الذاتية والموضوعية من خلال مذكراته

The historical writing of Muhammad Harbi between subjectivity and objectivity through his memoirs

شحي فؤاد

جامعة لونيبي علي البلدية 02

Fouad.hist@gmail.com

تاريخ القبول : 2019-11-11

تاريخ الاستلام : 2019-10-10

## الملخص:

عرف تاريخ الجزائر المعاصر مطلع القرن الواحد والعشرين ظاهرة تراكمية في الكتابة التاريخية خاصة ما تعلق الأمر بتدوين الفاعلين في النضال الوطني والثوري لشهاداتهم على شكل مذكرات شخصية كان لها الفضل في الكشف على العديد من الحقائق التي من دون شك استفاد منها الباحثون في عملهم الأكاديمي وتحرير الأطروحات.

لكن كثيرا ما يتواجه الباحثون بذاتيه المؤلف أو صاحب المذكرات لذلك وجب عليهم التعامل معها بحذر في نقل المعلومة ولأن مذكرات محمد حربي تعد نموذج من هذه المذكرات التي حاولنا بعد دراستها وتحليلها الوقوف على ما مدى التزامه بالموضوعية في طرحها لذلك كانت مداخلتنا موسومة بالعنوان التالي: الكتابة التاريخية عند محمد حربي بين الذاتية والموضوعية من خلال مذكراته.

الكلمات المفتاحية: محمد حربي - الثورة الجزائرية - الموضوعية - الذاتية - الموضوعية - الكتابة التاريخية

## Abstract

The modern history of Algeria at the twenty first century has known a cumulative phenomenon in writing the history, especially when it comes of recording the testimonies of key actors of national and revolutionary struggle in the form of personal diaries, which have the merit of revealing many facts that undoubtedly benefited researchers in the process of the academic research and editing thesis.

However, researchers face difficulties to deal with the subjectivity of the authors and the memos owners, therefore, they should treat them with caution in the transfer of the information.

Mohamed Harbi's memos is an example that we want to study and analyze to determine his commitment to objectivity in subtracting his memos, so our intervention was marked by the title above.

**Key words:** Mohamed Harbi-Algerian Revolution-subjectivity-objectivity- history writing-

بحوثهم العلمية والأكاديمية، لكن هذه المذكرات لا تخلوا من النرجسية وتبجيل الذات في طرح الأحداث وذكر مآثره وهذا ما نلاحظه في أغلب المذكرات الشخصية لذلك يقوم الباحث بتحليل أفكارها وأحداثها واخضاعها للنقد وهو ما حاولنا القيام به في مداخلتنا

## المقدمة:

تعد المذكرات الشخصية مصدرا هاما من مصادر الكتابة التاريخية لما تحتويه من معلومات وأحداث عايشها أصحابها عن قرب من الحدث، هذا الأمر يجعلها تكون مادة دسمة للباحثين في طريق انجاز

ألقى بهم الضرر نتيجة معارضتهم له ودعم المقاومات ضدهم، مما نتج عنه مصادرة ممتلكاتهم وتسليط الضرائب عليهم فتراجعت مكانتهم الاقتصادية، لكنهم حافظوا على نفوذهم الديني ونشر الثقافة بالمنطقة ذلك لأن المرجعية الدينية والعلمية كانت هي أساس السياسية<sup>3</sup>.

كان محمد حربي هو الابن البكر لابن البكر فوالده كان أكبر إخوته وكان عائلته تذكره دائما بذلك من أجل الحفاظ على مكانته الاجتماعية خاصة عماته التي كان يجالسه كثيرا أكثر من والدته، كانت عماته تقدرن العائلة ولا يتركه يذهب إلى أخواله خشية التأثير عليه، فأعمامه عائلة اقتصادية متعاملة مع الاستعمار والمعمرين في حين أخواله عائلة دينية اكتست الطابع السياسي المناهض للاستعمار<sup>4</sup>

<كانت عائلة حربي كثير التفاخر وكان يظهر عليها الثرى والترف من خلال أثاثهم المنزلية والأواني المستعملة وكانوا ينظرون باستعلاء إلى الناس المجاورين لهم وكثيرا ما كانوا يهينونهم وهو ما خلف شعور سيء لدى الطفل محمد حربي وكذلك ما كان يستعمه من صفات تطلق على عائلته من طرف الأهالي وكذلك ما كان الأطفال ينعتونه به في الشارع بدم عائلته بأنهم متبجحون ومغرورين<sup>5</sup>.

كان والده دائما مشغولا عليه ولا يجالسه بسبب مسؤوليات الأسرة وذلك الأمر بالنسبة لأمه، فباعتبارها زوجة الابن الأكبر وانشغالها بالأمر العائلية جعلها تهمل العناية بأولادها وكانت تعني به وتسهر على تنشئته مربية من العائلة اسمها عائشة بنت عبد الله حربي تحت رقابة الأم وهو ما جعل الطفل محمد حربي

هذه لتبين إلى أي مدى التزم محمد حربي بالموضوعية في كتابته مذكراته

## 2. المولد والنشأة

محمد حربي مناضل ومؤرخ جزائري وهو من بين الرجال الذين صنعوا الحدث في النضال السياسي وثورة أول نوفمبر وأرخوا له بعد الاستقلال، ولد محمد حربي ابن إبراهيم ابن الصالح وعائشة بنت السعيد كافي في 16 جوان 1933 بالحروش ولاية سكيكدة وهي القرية التي أخذ منها جزءا كبيرا من شخصيته نظرا للوضع الاجتماعي التقليدي الذي كانت تتميز به منطقة الحروش<sup>1</sup>.

عاش محمد حربي من خمسة من إخوته رغم أن والده أنجب سبعة لكن اثنين منهم توفيا في الصغر، ينتمي محمد حربي إلى عائلتين من كبرى العائلات في سكيكدة، وقد كانوا معروفين في الوسط الاجتماعي، وكانت عائلته كبيرة ومنتشرة في كل ربوع سكيكدة في مناطق مختلفة على غرار عدة بلديات منها: الحروش، سان شارل، قاسطون فيل وغيرها، وعائلة حربي لم تكن معروفة قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر، بل ارتقت اجتماعيا بعد تعاملها مع الاستعمار الفرنسي، واكتسبت سلطة اقتصادية قائمة على أساس امتلاك الأراضي الزراعية الكبيرة، ومكانتها الاجتماعية أفرزتها السلطة الاقتصادية وعلاقتهم بالفرنسيين والكولون<sup>2</sup>،

أما من ناحية والدته فقد كانت تنتمي إلى أسرة معروفة منذ العهد العثماني وهي أسرة آل كافي والتي كانت معروفة بطابعها الديني والثقافي وهي أسرة كانت ميسورة الحال ماديا، لكن الاستعمار الفرنسي

<sup>1</sup> محمد حربي: حياة تحدي وصمود مذكرات سياسية 1945-1962، تر: عبد العزيز بوباكير، علي قسايسية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004، ص 07.  
<sup>2</sup> نفسه: ص 19.  
<sup>3</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، نفسه: ص 21.  
<sup>4</sup> نفسه: ص 18، 19.  
<sup>5</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 24.

القاعات والطاولات والتجهيزات حتى فناء الراحة كان منفصلا بين الفرعين رغم أنه في مدرسة واحدة وهو ما يدل على أبشع التمييز العنصري<sup>8</sup>.

داخل المدرسة الأهلية تغيرت النظرة الاجتماعية لمحمد حربي في بداية تفتحه العقلي والمعرفي فلقد اكتشف التنوع الاجتماعي في المجتمع الجزائري بمحيطه المصغر في الحروش بعد أن كانت تصوراته داخل عائلته الكبيرة، فلقد لاحظ حربي كيف يعيش الناس في الواقع ولقد كان أطفال من سنه يعانون أمراض نتيجة سوء التغذية بالإضافة إلى لباسهم السيئ<sup>9</sup>.

لقد درس محمد حربي عند مدرسين فرنسيين ومدرس واحد جزائري وتأثر محمد حربي بمدرسته السيدة "شاباص" حيث كانت تمثل له أكثر من مدرسة وذلك لعنايتها به، فلقد علمته القراءة واكتشف من خلالها المطالعة التي أصبحت أنيسه الوحيد، حيث كان لا يمل الجلوس منفردا طالما كتابه بيده، كما ساهمت في تكوين شخصيته وتحريرها من الخوف وذلك عن طريق القصص التي كانت تروى لهم تتناول فيها الخرافات السائدة في المجتمع الجزائري آنذاك وتعلم منها الشجاعة وقول الحق<sup>10</sup>.

أما التعليم الديني فلم يكن له ميل إليه وكان ذلك بسبب النهوض باكرا (السادسة صباحا) أي قبل الالتحاق بالمدرسة الفرنسية، وكان الشيخ يؤخرهم عن المدرسة مما يعرضهم للعقوبة أدى إلى تذمر محمد حربي نتج عنه رفضه الذهاب إلى المدرسة القرآنية فوافق أهله على ذلك بشرط الذهاب إلى جده السعيد كافي بعد المدرسة الفرنسية ليتعلم اللغة العربية وتفسير

ينطبق على نفسه ويحبذ الوحدة على حديث عماته واللعب مع الأطفال في الحي الذي غالبا ما كان ينتهي لعينهم إلى مشاجرة وتجريح في الكلام والسخرية منه على أنه ابن مكراني، هذه البيئة الاجتماعية والعائلية التي نشأ فيها كونت لديه شخصية منغلقة على نفسها متأثرة بالمحيط الأوروبي الذي كان يشاهده كثيرا في الزيارات التي كان يقوم بها مع والده للمعمرين، وما سهل له عملية التواصل والتأثر بمعلمته "شاباص" Chapass التي بدورها نمت بعض الجوانب الإيجابية من خلال تعاملها معه كحب المطالعة والشجاعة والمواجهة في قول الحقيقة<sup>6</sup>.

### 1.2. المسار التعليمي لمحمد حربي

لقد كانت منطقة الحروش من أولى المناطق التي تم فيها إنشاء مدرسة في وقت مبكر، لقد كانت عائلة حربي ميسورة الحال ماديا مما كان السبب الرئيسي لالتحاق محمد حربي بالمدرسة في وقت مبكر، حيث بدأ يرتاد المدرسة الفرنسية بمسقط رأسه في السادسة من العمر والتحق أيضا بالمدرسة القرآنية لما بلغ سن الثامنة، فقد كان ينهض باكرا للالتحاق بالمدرسة القرآنية، وبعدها يلتحقون بالمدرسة الفرنسية<sup>7</sup>.

كانت المدرسة الابتدائية بالحروش تتكون من فرعين: فرع الأهالي وآخر فرنسي، فالفرع الفرنسي كان يضم فرنسيين وأبناء الأعيان وكذلك بعض أبناء المسلمين من الإناث ذلك لأن المدرسة كانت مختلطة، في حين الفرع الأهلي كان يضم ذكور المسلمين فقط وقد التحق حربي في بادئ الأمر بالفرع الفرنسي قبل أن يتحول إلى فرع الأهالي، مما سمح له بأن يلاحظ الفرق بين الفرعين، ففي الجانب الفرنسي كانت هناك أفضل

<sup>8</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود ص 26 ص 27

<sup>9</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 30

<sup>10</sup> نفسه: ص 25

<sup>6</sup> نفسه: ص 24

<sup>7</sup> راجع لونيبي: تفكيك الخاطب التاريخي حول الثورة الجزائرية، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص 90.

كفاءة فكرية لا تميزه على الفرنسيين والتحق بالثانوية مجموعة من الشباب الوطني من أمثال بلعيد عبد السلام ومحمد بن يحي وبشير حاجي، واتسع الأفق الجغرافي لعلاقات محمد حربي، فقد كان في العطل يسافر إلى مناطق جغرافية خارج سكيكدة، فقد سافر إلى سطيف، قسنطينة، عنابة وبجاية، والتقى خلال هذه السفريات ببعض الشبان الذين كانوا ينتمون لحزب الشعب الجزائري مثل لمين خان في القل، ورضا مالك في بجاية، ونتيجة لقاءاتهم المتكررة وتبادل الأحاديث والأفكار بينهم شعر حربي بنمو الشعور الوطني لديه وانتابته الرغبة للخوض في المجال السياسي وهو ما حدث فعلا، فلقد انخرط حربي في خلايا حزب الشعب عام 1946 بسكيكدة<sup>15</sup>.

ومما حفزه في النضال الوطني وانتماءاته الأيديولوجية هو اطلاعه في رحاب ثانوية سكيكدة على بعض المصطلحات التي بدأت تنتشر بعد ح.ع.2 كالاشتراكية والماركسية إضافة إلى تأثره بمدرس التاريخ في الثانوية وهو "بيار صاوري" Pierre Saouri<sup>16</sup>، كان لهذا الأستاذ تأثير كبير على التوجه الأيديولوجي لحربي فقد أعجب بتروتسكيته ونهى أيديولوجيته بها بالتعمق في دراستها خاصة وأن هذا المعلم هو الذي اكتشف أدبياتها التي أثرت في حربي وفي تعاملاته فيما داخل حزب ح.إ.ح.د وجمهة التحرير الوطني، كما أثرت في خطابه التاريخي ومؤلفاته<sup>17</sup>.

<sup>15</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 100

<sup>16</sup> هو مدرس معروف بانتماءاته الأيديولوجية الشيوعية ذات التوجه التروتسكي وهو عضو في هيئة تحرير المجلة التروتسكية الشهيرة Soualisme Ou barbarie، كما أنشأ مجلة السلطات العمالية واكتشف أدبيات التروتسكية، للمزيد ينظر: رابح لونيبي، فكيك الخطاب...المرجع السابق، ص 100

<sup>17</sup> نفسه: ص 100

القرآن وتاريخ الإسلام، رغم ذلك لم تتغير نظرة حربي للمدرسة القرآنية، فقد كانت في نظره مكانا للقهر والخضوع والمفاضلة بين التلاميذ عكس المدرسة الفرنسية<sup>11</sup>، وكان التعليم في المدرسة القرآنية يعتمد على الحفظ البحت حيث يقول: «كنا نحفظ القرآن دون فهم وكان يطلب منا حضور الدروس العقائدية في المسجد دون توجيه»<sup>12</sup>.

نجح محمد حربي في اختبار المرحلة الابتدائية وانتقل للدراسة الثانوية في سكيكدة<sup>13</sup>.

## 2.2. انتقال محمد حربي من الحروش إلى سكيكدة:

بعد انتهاء محمد حربي من الدراسة في المرحلة الابتدائية قررت عائلته التي كانت تولي أهمية كبيرة للتعليم بأن يكمل دراسته الثانوية فأرسله أبوه إلى سكيكدة ليلتحق بالمدرسة الثانوية وهناك كانت هذه المرحلة بالنسبة لحربي انتقال من بيئة إلى بيئة أخرى أكثر حرية التخلص من الرقابة العائلية، التحق حربي بثانوية "دومينيك لوتشيان" عام 1945 وسجل بها طالبا في النظام الداخلي، فكان لا يرجع إلى أهله في العطل الصغيرة بين أربعة وخمسة أيام وكان يشعر بالرضا في كنف النظام الداخلي، فقد كان محيطه الجديد أكثر حرية، وفي بدأ يتطلع إلى بعض الأمور المتعلقة بالسياسة فعرف الديمقراطية في كنف القانون داخل الثانوية وبدأ يتفتح وعيه خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945 التي عايشها عن قرب<sup>14</sup>.

وفي ثانوية سكيكدة كان والده يصبر على حسن تعامله والحفاظ على أناقته بسبب مكانتهم الاجتماعية، وكان يطالبه بالنتائج الجيدة في الدراسة واكتساب

<sup>11</sup> نفسه: ص 30

<sup>12</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 30

<sup>13</sup> نفسه: ص 30

<sup>14</sup> رابح لونيبي: فكيك الخطاب...المرجع السابق، ص 100

بعد مظاهرات 08 ماي 1945 وإصدار السلطات الفرنسية لقانون العفو العام في 16 مارس 1946 وسمح للأحزاب باستئناف نشاطاتها وجد حربي نفسه أمام أربعة تيارات سياسية منظمة:

- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: الذي كان يرأسه فرحات عباس وهو يتضمن نفس مبادئ حزب البيان ويضم مجموعة من الأفراد المناضلين الذين كانوا في فدرالية المنتخبين الجزائريين وكانت مطالبهم تتمثل في الطموح لنيل المواطنة الفرنسية<sup>21</sup>.

- المصلحون الإسلاميون الذين أسسوا عام 1931 جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كانت مطالبهم إصلاحية من أجل تحسين أوضاع المجتمع الجزائري في شتى المجالات التعليم، المعيشة وغيرها<sup>22</sup>.

- حزب الشيوعي الجزائري: الذي أنشأ رسميا عام 1936 كوريث للفدرالية الجزائرية للحزب الشيوعي الفرنسي، وكان يضم أوروبين وجزائريين وكانت نظريته بسيطة للسوسيولوجية السياسية الوطنية، مما جعله لا يكون محل حظوة لدى الشعب الجزائري فقد كان أقل عدد من المناضلين<sup>23</sup>.

- التيار الاستقلالي: كان يمثله على التوالي منذ نشأة حزب نجم شمال إفريقيا (1926-1937) وتحول إلى حزب الشعب الجزائري (1937-1946) والذي حل بعد مظاهرات 08 ماي 1945 ويعاد بعثه تحت اسم "حركة من أجل الانتصار والحريات الديمقراطية (1946-1954)" هذا الحزب الذي كان يدعو إلى

لم يكن حربي من التلاميذ المتميزين بل كان متوسط الإمكانيات وذو ذكاء محدود وكل الأساتذة الذين يدرسونه كان يرون أنه يفتقد إلى الذهنية وكثيرا ما كانوا يقترحون عليه تنمية قدراته بمتابعة الدروس لديهم لكنه كان يواجههم بالرفض دائما<sup>18</sup>.

وفي بداية الخمسينيات انضم حربي رسميا إلى ح.إ.ح.د بعد أن كان يعمل معهم تعاطفا دون انخراط مما زاد في نشاطه السياسي داخل خلية الثانوية وانعكس سلبا على دراسته، فقد رسب في شهادة البكالوريا شعبة فلسفة عام 1952 الأمر الذي استغله والده من أجل إرساله إلى فرنسا لمواصلة تعليمه بالخارج، لكن كان هدف أبيه الأول هو إبعاد محمد حربي عن العمل السياسي الذي تجذر بداخله فغادر حربي سكيكدة متوجها نحو فرنسا في أكتوبر 1952 ليتابع دراسته بها في ثانوية "سان بارب"، هذه الأخيرة التي نجح بها في شهادة البكالوريا عام 1953 والتحق بجامعة باريس خمسة ونال منها شهادة الليسانس في الفلسفة عام 1958، واستكمل حربي نضاله في صفوف الحركة في فدرالية الحزب بفرنسا<sup>19</sup>.

### 2.3. انخراط حربي في العمل السياسي:

لم يكن التفكير السياسي هو الذي دفع محمد حربي للخوض في السياسة وعمره دون 15 سنة، ولكن السبب وطنيته التي جرحت بسبب الوضع الاستعماري منذ نشأته وتعمقت بفعل مجازر 08 ماي 1945 التي عايشها عن قرب ومست حتى أفراد من عائلته، بالإضافة إلى الهوة الفاصلة بين الكولون والجزائريين الأغنياء وفقراء الجزائر<sup>20</sup>.

<sup>21</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 78

Mohamed Harbi - "La guerre Commence en Algérie",<sup>22</sup> édition Bruxsel, paris, 1984, p184.

<sup>23</sup> Ibid p186

<sup>18</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 82

<sup>19</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 82

<sup>20</sup> رايح الونيسي: المرجع السابق، ص 99

كانت ليلا إضافة أنهم قاموا بلفت انتباه المسؤولين في الحزب إلى ضرورة تعليم أطفال الطبقات الشعبية<sup>28</sup>.

كان محمد حربي يقوم بإقامة تجمعات شعبية ويندد فيها باسم الحزب على تصرفات الإدارة الفرنسية ضد الأهالي من اعتقال ومحاربة باعة الشارع في رزقهم وغيرها من التصرفات، كما أتاحت له هذه النشاطات بالالتقاء ببعض القادة البارزين في الحزب مثل عبد الرحمن كيوان الذي قدم إلى سكيكدة كمحامي لبعض أفراد المنظمة الخاصة<sup>29</sup>.

كان النشاط السياسي لمحمد حربي يسمم علاقته مع أسرته ليس لأنه سار في التيار الوطني فقط، بل لأن إخوته التحقوا به (نور الدين ومحمود) وأصبح في نظر عائلته مثالا سيئا، حيث قام أبوه بإنذاره إما التحلي عن السياسة أو تحمل مسؤوليته، فغادر حربي البيت وأقام عند أحد أصدقائه (أحسن عاتق) وبقي مدة شهر خارج البيت، ولكن مع ظهور النتائج الدراسية واستحواد محمد حربي على مركز في اللوحة الشرفية طلب منه والده العودة للبيت وتظاهر بالاستسلام لخياراته السياسية ولكن مع رسوبه في شهادة البكالوريا سارع والده لإبعاده عن الوطن بحجة إكمال الدراسة لكن هدفه كان إبعاده عن السياسة وخاصة بعد أن بدأت علاقته تتوتر بالإدارة الفرنسية وبعض معارفه من المعمرين، وترك حربي الوطن وخبية الحزب التي كان يرأسها في الثانوية وقد أصبحت أكثر قوة وتنظيم بالمنخرطين الجدد الذين جندهم ليلتحق بفرنسا لإكمال دراسته ومسيرته النضالية في وسط مغاير<sup>30</sup>.

3. الكتابة التاريخية عند محمد حربي والعوامل

#### المؤثرة فيها

<sup>28</sup> رايح لونيبي: المرجع السابق، ص 90

<sup>29</sup> محمد حربي: حياة تحدي وصمود، ص 23

<sup>30</sup> محمد حربي: حياة تحدي وصمود، ص

الاستقلال<sup>24</sup>. بين سنتي (1947-1948) كان معظم الشباب مناضلين غير رسميين في ح.إ.ح.د، وكان محمد حربي من بينهم، فقد كان من بين المناضلين الذين يرجع إليهم عند الضرورة، وكان ينتظر وقت إدماجه في الحزب<sup>25</sup>.

وفي عام 1950 قام عبد الحميد معطى الله بدعوة محمد حربي بالانضمام إلى الحزب ذلك لأنه كان يعرف إمكانياته وقناعاته بالحزب الذي عجزت أمامه الإدارة الفرنسية فعل انتشاره الواسع بين الجماهير، في عام 1951 ترشح حربي لرئاسة خلية الحزب بالمدرسة الثانوية أمام منافسه محي الدين عطية ونجح حربي في الانتخابات وأصبح رئيسا للخلية خلفا لعبد الحميد معطى الله<sup>26</sup>، وكان الانخراط في الحزب يتم وفق طقوس فقد يقسمون على القرآن بالوفاء للحزب وكان الطلبة الثانويين يعفون من ذلك وكان يؤدون القسم فقط، كما كان لمحمد حربي ميل إلى العمل النقابي، فقد كان يقف إلى جانب محمد غاس (الحناشي) ضد أعضاء قسمة الحزب الذين يقللون من العمل النقابي، وكان يصر على دفع المناضلين إلى الانخراط في النقابات وجمع التبرعات وتنظيم حملة في وسط النقابات لإظهار مبادئ الحزب وأهدافه لدى طبقات الشعب العامة من عمال ومزارعين<sup>27</sup>.

كان نفوذ خلية الثانوية قويا لدرجة أنهم فكروا في تأسيس جمعية مختلطة لطلاب الثانويين تضم الطلبة والطالبات لكنهم عدلوا عن ذلك لن معظم نشاطاتهم

<sup>24</sup> مهساس أحمد: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال الجزائر، 2002، ص 236

<sup>25</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 73

<sup>26</sup> أحمد مهساس: المصدر السابق، ص 236

<sup>27</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 81

## 1-3. الكتابة التاريخية عند حربي:

إن الكتابة التاريخية عند محمد حربي تقوم

على ثلاث مقومات رئيسية تجسدت في كل أعماله

التاريخية، ويمكن أن نلخصها فيما يلي:

أ. اهتماماته واختياره للمواضيع: حيث أنه مشغول بقضايا وطنه رغم بعده عنه ولا يريد أن يقف موقف المتفرج بل كصانع ومؤرخ لتاريخ وطنه، ولذلك اختياره للمواضيع ذات التأثير سواء على المؤلف نفسه أو القارئ، كما أنه يختار المواضيع من حيث استطاعته

على إثرائها عبر تجربته الشخصية.

ب. سرد الوقائع التاريخية: يقوم حربي بسرد الوقائع التاريخية من جهة أنه عنصر فيها لكن بأسلوب يتعد

عن الترجسية المبجلة للذات، بمعنى سرد الوقائع في إطار موضوعي بعيد عن الذاتية.<sup>31</sup>

ج. قراءته للوقائع التاريخية وتحليلها: حيث يقوم

محمد حربي بدراسة الوقائع التاريخية بالطريقة التي تمت معاشيتها سواء كان فاعلا فيها أو ناقل للحدث، وتجسد ذلك في كتاباته، حيث تناول في بداية تأريخه

الثورة وفق تجربته الخاصة باعتبار أنه أحد الفاعلين فيها وتنقل بين هياكلها وتجسد ذلك في كتابه "جهة

التحرير الوطني الأسطورة والواقع".<sup>32</sup>

في حين قام بتحليل الأوضاع وتفسيرها وفق دراسة أكاديمية ومن منطلق مغاير، إلا أنه وفق في

الحفاظ على قراءة صحيحة وموضوعية للأوضاع الجزائرية وهو بعيد عن الحديث وتجسد ذلك في كتابه

"الجزائر وقدرها".<sup>33</sup>

في حين قام بتحليل الأوضاع وتفسيرها وفق دراسة أكاديمية ومن منطلق مغاير، إلا أنه وفق في

الحفاظ على قراءة صحيحة وموضوعية للأوضاع الجزائرية وهو بعيد عن الحديث وتجسد ذلك في كتابه

"الجزائر وقدرها".<sup>33</sup>

<sup>31</sup> لونيبي رايح ، الخطاب التاريخي عند محمد حربي والعوامل المؤثرة فيه، مجلة عصور، مخبر المصادر والتراجم، جامعة

وهران، العددان 4 و5، 2003، ص261.

<sup>32</sup> محمد حربي، جهة التحرير...، المصدر السابق.

<sup>33</sup> Mohamed Harbi, L'Algérie et son destine Croyants ou

citoyens, édition Arénâtes, paris, 1992

## 2.3. العوامل المؤثرة في الكتابة التاريخية عند محمد

حربي:

أ. شخصيته ومساره النضالي:

الشخصية التي بناها محمد حربي من خلال تعامله مع عائلته والمعلمين الذين زاول دراسته لديهم وتأثره

بالشخصيات الأوروبية الذين تواصل معهم على غرار المدرسة "شاباص" والمدرس تروتسكي "بيار صاوري" هؤلاء

الذين تركوا بصماتهم في شخصيته إضافة إلى علاقته مع والده، كذلك مساره النضالي المبكر وتأثره بخطط

زعماء الحزب، هذه الخطط جعلته يكون نظرة سلبية إلى الأحزاب الأخرى خاصة الاتحاد الديمقراطي للبيان

الجزائري وجمعية العلماء المسلمين الجزائري، أما الحزب الشيوعي فقد شفع له التقارب الأيديولوجي معه

لذلك فقد انعكس ذلك سلبا في كتابته التاريخية حول تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وهنا نلاحظ

انعكاس شخصيته ومساره النضالي على كتابته التاريخية ومنعته من أن يتناول القضايا الوطنية

خاصة الأحزاب الأخرى والتنظيمات الموجودة آنذاك بدراسة موضوعية<sup>34</sup>، لذلك يتوجب على القارئ أن

يأخذ بعين الاعتبار شخصية المؤرخ ومساره النضالي وطبيعته في تناول القضايا الوطنية وإخضاع كتاباته إلى

ما يعرف بالنقد التاريخي.

ب. انتماءه الطبقي:

إن المتمعن في الكتابة التاريخية عند محمد حربي حول الثورة وجدورها انه ينظر نظرة ازدرائية إلى

قاعدتها الاجتماعية فيصفها بالشعبوية التي تغلب عليها العاطفية الدينية والجهالة<sup>35</sup>، يحاول حربي من خلال

نظرتة إلى الأهالي أو الفلاحين إخفاء انتمائه الطبقي فهو

<sup>34</sup> رايح لونيبي: الخطاب التاريخي...، المرجع السابق، ص263.

<sup>35</sup> حربي محمد: الوطنية الشعبوية بمدينة سكيكدة، ترجمة: محمد داود، مجلة إنسانيات، العدد 16، 2002، ص17.



يمنعه من العودة إلى خطاب الجمعية مباشرة وهو ما يبين موقفه تجاهها.<sup>38</sup>

د. انتماءاته الأيديولوجية:

إن الانتماء الأيديولوجي لحرب يظهر بشكل واضح في كتاباته التاريخية خاصة حين يتعامل بالنقد على جمعية العلماء المسلمين وبأنها لم تساند الثورة ولم تلتحق بها، في حين يحاول إيجاد مبررات للحزب الشيوعي الجزائري الذي لم يلتحق بالثورة إلى غاية 1959 بدون أي مبررات سوى لتقارب الفكر الشيوعي بينهم، فتروتيسكية حربي أثرت تأثيرا بالغا على منهجه وخطابه التاريخي في كل دراساته.<sup>39</sup>

و. منهجه التاريخي:

يستخدم محمد حربي المنهج التاريخي الماركسي في كتاباته التاريخية، فلقد غلب عليه الصراع الطبقي في تفسير الكثير من المواقف والأحداث في كتاباته التاريخية حول الجزائر وتجسد ذلك جليا عندما حاول فهم وتفسير عملية تطور ج.ت.و. استنادا إلى فكرة تحول قادة التنظيم من بسطاء أو ما يسمى بالعامية إلى برجوازية بيروقراطية تدافع عن مصالحها<sup>40</sup>، وإن الإجابة عن الإشكاليات هي من شروط المنهج التاريخي الماركسي وهو ما غاب عن أبحاث محمد حربي فلو قام بذلك لاكتشف أن منهجه غير صالح للتطبيق على المجتمع الجزائري الذي درسه في الفترات السابقة.<sup>41</sup>

4. قراءة في مذكرات محمد حربي حياة تحد وصمود مذكرات سياسية (1945-1962):

<sup>38</sup> رايح لونييسي: تفكيك الخطاب...، المرجع السابق، ص 98.

99.

<sup>39</sup> نفسه: ص 100-101.

<sup>40</sup> حربي محمد: الجزائر 1954-1962، جبهة التحرير الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر، لبنان، 1983،

ص 293، 301

<sup>41</sup> رايح لونييسي: تفكيك الخطاب...، المرجع السابق، ص 103.

ينحدر من أسرة اكتسبت ثروتها بفعل التعامل مع الاستعمار الفرنسي، لكن حربي لم يكن يحتقر هؤلاء البسطاء والفلاحين من الجانب الطبقي، بل يحتقرهم من الجانب الثقافي باعتبار أن أغلبهم جهلة وأخذ موقفه طابعا ثقافيا ولبس طابعا طبقيا ذلك بسبب أيديولوجيته الماركسية متناسيا أن أوضاع الجزائر لم تكن تسمح بالكل بمزاولة دراساتهم فليس كلهم محظوظين مثل حربي.<sup>36</sup>

ج. فضاهه الثقافي واللغوي:

إن محمد حربي مؤرخ جزائري لكن كل كتبه ودراساته مكتوبة في مجتمعات غربية وبلغة أجنبية، لذلك نجد نظريته عكسية للمجتمع الجزائري باعتبار يغلب عليها عنصر المقارنة، لذلك تكون كتاباته في أغلب الأحيان مشبوهة وغير سليمة مائة بالمائة، باعتبار تحليل أوضاع الجزائر من جانب المشاهدة وليس من جانب المعاشية خاصة تجاه مناطق معينة في القطر الجزائري، كما نلاحظ نظرته لسكان القبائل التي أخذت نوعا من التشويه في كتاباته، فلقد أخذ قادة منطقة القبائل حصة كبيرة من النقد الموجه لقادة الثورة خاصة عندما يتحدث عن كريم بلقاسم وعمر أوعمران، في حين نلاحظ نظرته تتغير عند كلامه عن قادة الولاية الثانية بن طوبال وعلي كافي، وهذا ما ظهر جليا في مذكراته.<sup>37</sup>

أما عن الأحكام التي كان يطلقها على جمعية العلماء المسلمين في كتاباته فهي راجعة إلى تأثير انتمائه الثقافي واللغوي، فهو لا يتقن اللغة العربية الشيء الذي

<sup>36</sup> رايح لونييسي: الخطاب التاريخي...، المرجع السابق، ص 267.

<sup>37</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 292، 299.

تناول الكاتب في الفصل الثاني دخوله إلى المدرسة الأهلية بسكيكدة وخروجه من الوصاية الأهلية التي لا يحبذها، وشرح دور المدرسة في رفع مستوى ثقافته، كما تحدث عن اندلاع الح.ع.2 ومشاركة بعض أفراد عائلته فيها، وانخراطه في الكشافة الإسلامية وتعلم الأناشيد الوطنية ومبادئ القوية، وفي خضم هذا يتذكر المؤلف عبر مذكراته مجازر 8 ماي بسكيكدة وذكر بعض من أسماء زملائه في الدراسة الذين انخرطوا في الثورة التحريرية واستشهدوا بها.<sup>45</sup>

أما الفصل الثالث الذي يحمل عنوان من الحروش إلى سكيكدة، فقد تحدث فيه الكتاب عن انتقاله من القرية إلى المدينة بمعنى التعرف على علاقات أخرى لكن الواقع كان غير ذلك، فالعلاقات لا تختلف عما عايشه، كما أقر في هذا الفصل بأن سكيكدة ومناضليها لعبوا دورا بارزا في تكوينه النضالي وشرح العلاقات السائدة بها، كما تحدث عن التحاقه بخلية ح.إ.ح.د في ثانوية سكيكدة، وتعرف في رحاب الثانوية على الأفكار الماركسية وكيف ترأس قسمة الحركة داخل الثانوية وطريقته في نشر مبادئ وأفكار الحزب لدى الطلبة، وكيفية اتصاله المباشر بالأشخاص الفاعلين في النضال الوطني وأنه في هذا الفصل بتأكيد أن نضاله سيستمر بفرنسا، حيث أرسله أبوه لاستكمال دراسته.<sup>46</sup>

<sup>45</sup> - نعمان سطمبولي، "قراءة في مذكرات حربي"، مجلة الراصد، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 1، الجزائر، فيفري 2002، ص 61.

<sup>46</sup> كواتي مسعود: قراءة في كتاب محمد حربي Une vie de bout، مجلة المصادر، الصادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع 6، الجزائر، 2002، ص 451.

إن الكتاب الذي نحن بصدد دراسته اليوم هو عبارة عن مذكرات لأحد الفاعلين في جبهة التحرير الوطني وتنقل بين هياكلها هي مذكرات محمد، صدرت بفرنسا عام 2001 عن دار نشر la découverte وصدرت بنفس السنة بالجزائر عن دار القصبية تحت عنوان "une vie de bout mémoires politique 1945-1962" وترجمت هذه المذكرات إلى اللغة العربية سنة 2004 بدعم من دار القصبية على يد الأستاذان عبد العزيز بوباكير وعلي قسايسية<sup>42</sup>، تحتوي هذه المذكرات على 12 فصل و 7 ملاحق موزعة على 420 صفحة.

تناول محمد حربي في مقدمة هذه المذكرات إجابة على سؤال الذي يمكن أن يترأى إلى كل قارئ لها وهو: لماذا هذه المذكرات؟ وأجاب على هذا السؤال بأنه لا يريد أن يبقى كملاحظ لتاريخ بلاده فهو كان في قلب المعركة ومن صناع التاريخ في الجزائر لذلك فهو لم يعتمد في مذكراته على نقل حياته الخاصة وسرد الحوادث التاريخية كرونولوجيا بل أورد الأحداث وفق تجربته الخاصة بمعنى آخر ليس من واقع شخصي بل من واقع اجتماعي.<sup>43</sup>

تحدث المؤلف في الفصل الأول عن طفولته المحظوظة حيث ولد في أسرة قوية بعددها ومالها، كما تحدث عن موقع والده في الأسرة الذي كان يتحكم فيها ويسير شؤونها وتحدث عن أخواله وعائلتهم المعروفة بثقافتهم العربية والإسلامية، ثم ذكر تعليمه في المدرسة الأهلية والقرآنية مستخلصا الفرق بينهما وأبرز في نهاية هذا الفصل تركه لمدرسة الحروش في خلال العمل الوطني.<sup>44</sup>

<sup>42</sup> - مسعود كواتي، تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى، دار هومو، الجزائر، 2012، ص 190.

<sup>43</sup> - مسعود كواتي، المرجع السابق، ص 190.

<sup>44</sup> - محمد حربي، حياة تحد وصمود، ص 8، 27.

الديوان العسكري مولود إيدير وما هو هدف كريم بلقاسم لإلحاقه وتحدث عن آرائه في تفعيل الجبهة الداخلية بالاقتراحات التي قدمها لكريم.<sup>50</sup>

وتعرض المؤلف في الفصل التاسع إلى اجتماع العقداء العشر وزيارته إلى المناطق الحدودية وعن هيكله الحكومة المؤقتة الجديدة بعد اجتماع المجلس الوطني للثورة وموقعه فيها، حيث التحق بوزارة الشؤون الخارجية مع كريم بلقاسم، حيث كلفه باختيار مساعدين له.

أما الفصل العاشر فقد تحدث فيه عن انتقاله إلى مصر برا مع ابنته وزوجته واستقباله من طرف لحول حسين، وتحدث عن الاستراتيجية المتخذة في إطار السياسة الدبلوماسية الجزائرية والمشاكل التي تعرض لها، مما اضطره لتقديم استقالته وتطرق إلى علاقته مع مجموعة من رجال الثقافة المصريين ورجال المعارضة التونسيين وكيف امتثل أمام لجنة الطاعة ورجوعه لمصر واستمراره في العمل الدبلوماسي.<sup>51</sup>

وتناول حربي في الفصل الحادي عشر رحلته في إفريقيا في ظل المهام الدبلوماسية التي أسندت إليه، واعتبرها بأنها فترة تكوين مكثف بالنسبة إليه، فالعلاقات الدولية معقدة وساعدته مهامه في إفريقيا بالتعرف على رجال المقاومة في إفريقيا، كما اطلع على الواقع الإفريقي من الداخل، وتحدث عن موقعه كمنسق للأمانة المركزية بوزارة الخارجية وتدمره من المسؤولين.<sup>52</sup>

أما الفصل الأخير فقد تحدث فيه حربي عن انفجار ج.ت.و. والصراع بين هيئة الأركان العامة

وجاء الفصل الرابع بعنوان "الانشقاق داخل حركة الانتصار للحريات الديمقراطية"، حيث تناول فيه سفره إلى فرنسا واتصاله بفيدرالية الحزب هناك لاستكمال عمله النضالي وتطرق إلى مسؤولياته وأعماله بها وعن التنظيمات الطلابية وعلاقتها بالأحزاب السياسية، كما شرح نقاط الاتفاق والاختلاف بينهم وأبعادها السياسية والأيدولوجية، كما ركز على التطور الحاصل في ثقافته السياسية كمناضل وطالب، مشيراً إلى الصراعات داخل ج.ت.و. الخفية منها والمعلنة.<sup>47</sup>

أما الفصل الخامس فقد حمل عنوان التحول من ج.ت.و. إلى جبهة التحرير الوطني ويروي فيه المؤلف الأحداث التي شارك فيها بين سنتي 1954-1956، وانتقد في هذا الفصل تسمية الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين معترضا على حرف الميم انطلاقاً من مبادئه اليسارية كما تحدث عن وضعيته الخاصة بفرنسا حيث أنه كان يعيش متهرباً من أداء الخدمة العسكرية، مما جعله يعود للعمل السري للاتقاء الشرطة التي تبحث عنه.<sup>48</sup>

وتناول في الفصلين السادس والسابع التحاقه بفيدرالية ج.ت.و. بفرنسا مع الطيب بولحروف ثم مع لونيثي إلى غاية تعيين عمر بوداود على رأسها والخلاف الذي كان بينهما بسبب غياب الديمقراطية في تسيير وغياب الشفافية مما اضطره لتقديم استقالته وتحدث عن سفره إلى ألمانيا عبر بلجيكا وهو متخوف من البوليس الفرنسي بسبب تهريبه من الخدمة العسكرية.<sup>49</sup>

والفصل الثامن الذي تناول فيه المؤلف عمله بديوان كريم بلقاسم وكيف كانت معاملته مع رئيس

<sup>50</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 263.

<sup>51</sup> مسعود كواتي: قراءة في كتاب محمد حربي...، المرجع السابق، ص 455.

<sup>52</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص ص 361، 369.

<sup>47</sup> نعمان إسطمبولي: المرجع السابق، ص، 61.

<sup>48</sup> كواتي مسعود: تاريخ الجزائر المعاصر...، المرجع السابق، ص 194.

<sup>49</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص ص 213، 222.

هذا إلى محاولة اغتياله لولا مساعدة على كافي له في الفرار من غار الدماء

رغم محاولة حربي التزام الموضوعية في كتابة مذكراته إلا أن أيديولوجيته الاشتراكية أثرت عليه في كتابة مذكراته فلا نجد ذكرا طوال 400 صفحة ذكرا لدور جمعية العلماء المسلمين ورجالها خلال الثورة التحريرية ولا خلال المسيرة النضالية للجزائر المعاصرة في حين يتعرض بذكر أسباب تبرر المواقف المتباينة للحزب الشيوعي الجزائري نظرا لتقارب الفكري بينهم والتوجه الإيديولوجي

#### قائمة المصادر والمراجع:

- محمد حربي: حياة تحدي وصمود مذكرات سياسية 1945-1962، تر: عبد العزيز بوباكير، علي قسايسية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2004
- رايح لونيبي: تفكيك الخطاب التاريخي حول الثورة الجزائرية، ط1، دار المعرفة، الجزائر، 2007
- مهساس أحمد: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال الجزائر، 2002
- لونيبي رايح، الخطاب التاريخي عند محمد حربي والعوامل المؤثرة فيه، مجلة عصور، مخبر المصادر والتراجم، جامعة وهران، العددان 4 و5، 2003.
- حربي محمد: الوطنية الشعبوية بمدينة سكيكدة، ترجمة: محمد داود، مجلة إنسانيات، العدد 16، 2002.
- حربي محمد: الجزائر 1954-1962، جبهة التحرير الأسطورة والواقع، تر: كميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر، لبنان، 1983

والحكومة المؤقتة وموقفه منها، كما شرح حال البلاد بعد وقف إطار النار وعودته إلى الجزائر متطرقا إلى دفاعه خلال مناقشة برنامج الإصلاح الزراعي وتحديث الزراعة الذي اعتبرها أساسا تغييرا للاقتصاد الجزائري وتحسين معيشة الفلاح.<sup>53</sup>

من خلال دراستنا لمذكرات محمد حربي نرى أن المؤلف ابتعد في كتابة مذكراته عن التحدث في حياته بصورة نرجسية وإنما استعمل شهادته كوثيقة لكتابة التاريخ، فربط مساره بتاريخ الحركة الوطنية والثورة كمناضل وثوري ومثقف يعي الأفعال والأقوال والمواقف، حيث أنه من خوفه من لانجرار خلف الانهيار بالنرجسية طلب حربي من أحد أصدقائه الذين يثق فيهم أن يقف له بالمرصاد في هذه المذكرات حتى تكون مفيدة وبعيدة عن الشخصية بل تعبر أكثر عن الواقع الاجتماعي حيث يذكر في مقدمة كتابه " لقد حاولت أن أتجاوز عقدة الاعتراف والانهيار النرجسي الذي كان يترصدني في العودة إلى الماضي، بل طلبت من أندري أكون وهو محاور متشدد وصديق أن يسألني وينتقدي وأن يهذب باستمرار قولي"<sup>54</sup>

قدم حربي من خلال مذكراته التناقضات السياسية والساسة وتناقضات المجتمع الجزائري وتعقيداته بكل موضوعية بحيث بعد دراستها نكتشف سبب تراجع الأحزاب ودورها وتراجع فكرة النضال وتبين العلاقة بين النضال السياسي والنضال المسلح ويظهر هذا جليا بالخطاب الذي دار بينه وبين قيادة الأركان حين حاول الحديث معهم في مفهوم الثورة طويلة المدى وإمكانية صمود الشعب الجزائري فيما أدى

<sup>53</sup> مسعود كواتي: تاريخ الجزائر المعاصر...، المرجع السابق، ص196.

<sup>54</sup> محمد حربي: حياة تحد وصمود، ص 6

• مسعود كواتي، تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى، دار هومه، الجزائر، 2012.

• نعمان اسطمبولي، "قراءة في مذكرات حربي"، مجلة الراصد، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، العدد 1، الجزائر، فيفري 2002

• مسعود كواتي: قراءة في كتاب محمد حربي Une vie de bout، مجلة المصادر، الصادرة عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع6، الجزائر، 2002.

• Mohamed Harbi, L'Algérie et son destine  
Croyants ou citoyens, édition Arénâtes,  
paris, 1992

Mohamed Harbi : La guerre Commence en Algérie,  
.édition Bruxsel, paris, 1984